وجاء فيه تغليب الخطاب على الغيبة فقد جاء فيه تغليبان . وهو تغليب دقيق إذ اجتمع في لفظ واحد نوعان من التغليب كما أشار إليه الكشاف والسكاكي في مبحث التغليب من المفتاح .

وضمير (فيه) عائد إلى الجعل المفهوم من قوله (جعل لكم) أي في الجعل المذكور على حد قوله (اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

وجيء بالمضارع في (يذرؤكم) لإفادة التجدد والتجدد أنسب بالامتنان .

وحرف (في) مستعار لمعنى السببية تشبيها للسبب بالظرف في احتوائه على مسبباته كاحتواء المنبع على مائه والمعدن على ترابه ومثله قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) .

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير [11]) خبر ثالث أو رابع عن الضمير في قوله (وهو على كل شيء قدير) . وموقع هذه الجملة كالنتيجة للدليل فإنه لما قدم ما هو نعم عظيمة تبين أن ا لا يماثله شيء من الأشياء في تدبيره وإنعامه .

ومعنى (ليس كمثله شيء) ليس مثله شيء فأقحمت كاف التشبيه على (مثل) وهي بمعناه لأن معنى المثل هو التشبيه فتعين أن الكاف مفيدة تأكيدا لمعنى المثل وهو من التأكيد اللفظي باللفظ المرادف من غير جنسه وحسنه أن المؤكد اسم فأشبه مدخول كاف التشبيه المخالف لمعنى الكاف فلم يكن فيه الثقل الذي في قول خطام المجاشعي : .

" وصاليات ككما يؤثفين E A وإذ قد كان المثل واقعا في حيز النفي فالكاف تأكيد لنفيه فكأنه نفي المثل عنه تعالى بجملتين تعليما للمسلمين كيف يبطلون مماثلة الأصنام تعالى .

وهذا الوجه هو رأي ثعلب وابن جني والزجاج والراغب وأبي البقاء وابن عطية .

وجعله في الكشاف وجها ثانيا وقدم قبله أن تكون الكاف غير مزيدة وأن التقدير : ليس شبيه مثله شيء . والمراد : ليس شبه ذاته شيء فأثبت لذاته مثلا ثم نفي عن ذلك المثل أن يكون له مماثل كناية عن نفي المماثل لذات ا تعالى " أي بطريق لازم اللازم لأنه إذا نفي المثل عن مثله فقد انتفى المثل عنه إذ لو كان له مثل لما استقام قولك : ليس شيء مثل مثله . وجعله من باب قول العرب : فلان قد أيفعت لداته أي أيفع هو فكني بإيفاع لداته عن إيفاعه .

وقول رقيقة بنت صيفي في حديث سقيا عبد المطلب " ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته " اه أي

ويكون معهم الطيب الطاهر يعني النبي A .

وتبعه على ذلك ابن المنير في الانتصاف وبعض العلماء يقول : هو كقولك ليس لأخي زيد أخ تريد نفي أن يكون لزيد أخ لأنه لو كان لزيد أخ لكان زيد أخا لأخيه فلما نفيت أن يكون لأخيه أخ فقد نفيت أن يكون لزيد أخ ولا ينبغي التعويل على هذا لما في ذلك من التكلف والإبهام وكلاهما مما ينبو عنه المقام .

وقد شمل نفي المماثلة إبطال ما نسبوا البنات وهو مناسبة وقوعه عقب قوله (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) الآية .

وحديث سقيا عبد المطلب أي خبر استسقائه لقريش أن رقيقة بنت أبي صيفي قالت : تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع وأدقت العظم فبينا أنا نائمة إذا هاتف يهتف : " يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا عظاما جساما أبيض أوطف الأهداب سهل الخدين أشم العرين فليخلص هو وولده ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤمنوا فعثتم ما شئتم " إلخ . قالوا : وكان معهم النبي A وهو يومئذ غلام .

واعلم أن هذه الآية نفت أن يكون الشيء من الموجودات مثلا تعالى . والمثل يحمل عند اطلاقه على أكمل أفراده قال فخر الدين " المثلان : هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته " ا ه . فلا يسمى مثلا حقا إلا المماثل في الحقيقة والماهية وأجزائها ولوازمها دون العوارض فالآية نفت أن يكون شيء من الموجودات مماثلا تعالى في صفات ذاته لأن ذات ا تعالى لا يماثلها ذوات المخلوقات ويلزم من ذلك أن كل ما ثبت للمخلوقات في محسوس ذواتها فهو منتف عن ذات ا تعالى